الرد القويم على الأفاك الأثيم
المتطاول على اللّه عز وجل
وعلى دينه
وعلى رسوله الأمين

كتبه

علي حسين الفيلكاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مُضل له، ومن يُضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوْلًا سَدِيدًا ۝٧٠ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإن خير الحديث كلام الله، وخير الهدي هدي محمد صلى الله عليه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

ثم أما بعد:

فإن من المصائب التي ابتليت بها أمة الإسلام، ومن النكبات الحقيقية التي أصابتها في هذا الزمان؛ انتشار تلكم الفرق والأحزاب الضالة؛ من جماعات وجمعيات ومجموعات؛ تتكلم باسم الإسلام بالباطل، وبالزور والبهتان، ويتعاون أفرادها وأتباعها على الباطل وعلى الإثم والعدوان، فيُدخلون في دين الله عز وجل ما ليس منه، بقصد منهم أم بجهل ومن غير قصد، وذلك اتباعًا

منهم لسادتهم وكبرائهم، وانقيادًا لهم ولأفكارهم، يصنعون ذلك بجرأة تامة؛ دون خوف من الله عز وجل، ولا حياء من عباده المؤمنين؛ من أن يعهدوا عليهم كذبًا ولعبًا في دين الله عز وجل، إذ يشتدون ويُظهرون الغيرة على دين الله عز وجل، وعلى النيل من جناب رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ إذا جاء الأمر وجاء هذا النيل والاعتداء – سواء على الله عز وجل أو على دينه أو رسوله الكريم عليه الصلاة والسلام – من كافر من الكفار، أو ممن هو بعيد عنهم وعن أحزابهم؛ فليس هو معهم في أحزابهم وفي جماعاتهم وجمعياتهم ومجموعاتهم، ولا هو من الذين يؤيدونهم أو ينصرونهم أو حتى يميلون إليهم وإلى أفكارهم! ! ، أما من كان غير ذلك؛ وكان ممن هو معهم، أو من الذين يميلون إليهم وإلى أحزابهم وجماعاتهم ويرتضونهم أو ينصرونهم؛ فالأمر – والحال هذه – مختلفٌ تمامًا عندهم، إذ تجد في هذه الأحزاب والجماعات وفي المتعصبين لهم من لا يحرك ساكنًا تجاه هذه المنكرات والضلالات، وتجاه هذا التطاول والنيل من الله عز وجل ومن دينه ورسوله صلى الله عليه وسلم إذا كان الأمر كذلك، وفيهم من يتكلم ولكن بالدفاع والتبرير، وبتمييع الأمر والخلاف وكأن شيئًا لم يكن، أو أنه يتكلم ويستنكر المنكر ولكن مع احترام هذا المبطل وتوقيره وتبجيله، وهكذا، وهذا كله ضلال في ضلال، نسأل الله السلامة والعافية، وأن يعافينا من مثل هذا الشر الذي هم عليه، وهو ما رأيناه – وللأسف – واضحًا وضوح الشمس في رائعة النهار في تعامل هذه الأحزاب والجماعات والمجموعات مع ما تفوه به محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي؛ متطاولاً فيه على الله عز وجل وعلى دينه ورسوله الأمين عليه الصلاة والسلام، إذ لم نجد منهم ما رأيناه بالأمس القريب؛ حين كان التطاول والعداء ممن لا ترتضيه هذه الأحزاب والجماعات، سواء من الكفار أو من بعض المنتسبين إلى الإسلام – ممن لا ينتسبون إلى هؤلاء الناس وإلى أحزابهم وجماعاتهم، وإنما ينتسبون إلى أحزابٍ شيوعيةٍ أو ليبراليةٍ أو علمانيةٍ أو غير ذلك – ممن نالوا من شخص النبي عليه الصلاة والسلام، أو ممن حكموا عليه وعلى دعوته بالفشل، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل دلالةً واضحةً على أن القوم ينطلقون من منطلق سياسي منظم؛ بعيد كل البعد عن الدين وعن الغيرة الدينية التي يدَّعونها ويزعمونها، إذ لو كانت غيرتهم الدينية حقيقيةً كما

يزعمون ويدَّعون، وغير مصطنعة ولا متكلَّفة؛ لَمَا فرَّقوا بين شخصٍ وآخر، ولَمَا عذروا من هو قريب منهم وحاربوا البعيد عنهم وعن أحزابهم، إذ الأمر واحد، والتطاول والنيل والطعن قد صدر من جميعهم، واجتمع عليه ووقع فيه جميعهم؛ الذي يرتضونه والذي لا يرتضونه، مما يجعل الأمر لا مجال فيه لإنزال اللوم على بعضهم، والتشنيع على هذا البعض، وربما تكفيرهم، مع إعذار الآخرين، ممن هم مع هذه الأحزاب والجماعات، وممن هو مرضي عندهم، والدفاع والدفع عنهم، والتبرير لهم ولما وقعوا فيه من الشر، كما هو صنيعهم مع هذا المتطاول المفتون محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي!!.

فالحمد لله الذي عرَّى هذه الأحزاب والجماعات وكشف ما هم عليه من الباطل، ومن الزيغ والضلال، ومن التعاون على الإثم والعدوان.

✷ الكلمة التي تفوه بها محمد الحسن ولد الددو الشنقيطي.

تفوه هذا المتعالم المغرور؛ الأفاك الأثيم محمد الحسن ولد الددو بكلمة هي غاية في السوء؛ تطاول فيها على الله عز وجل وعلى دينه وعلى رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام، حيث قال:

"هذه الأمة المحمدية نُكبت نكبات، وهذه النكبات أنا أقدِّر أنها إلى وقتنا هذا ست نكبات كبرى، حرَفَتها عن مدارها، النكبة الأولى كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، والوحي أشد ما يكون تتابعًا، والنبي صلى الله عليه وسلم في أوج قوته ونشاطه، ليس في وجهه ورأسه عشرون شعرة بيضاء، ولم يكتب لنا دستورًا، ولم يبين لنا طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله، ولم يعين لنا حاكمًا معينًا، فكانت أزمةً ارتد بسببها جمهور المسلمين عن الإسلام.

كان رجال هذه الأزمة المهاجرون والأنصار، اجتمعوا على بيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة، ثم اجتمعوا على بيعته في المسجد البيعة العامة، ولم يستطيعوا أن يُرجعوا إلينا النبوة، لأنها غير مكتسبة، وقد خُتمت النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، لكنهم استطاعوا أن يوجدوا لنا أحسن

بديل بعد النبوة، نزلوا درجةً أقل من النبوة، لكن هي أحسن شيءٍ بعد النبوة، وهي الخلافة الراشدة على منهج النبوة" انتهى ما أردت التعليق عليه ورده من نكباته المذكورة.

✷ الرد على كلام محمد الحسن ولد الددو وبيان أنه ضلال في ضلال.

وفي هذا الكلام الذي تفوه به هذا المتعالم المغرور؛ الأفاك الأثيم اعتراض على الله عز وجل وعلى دينه وعلى نبيه الكريم عليه الصلاة والسلام، وتوضيح ذلك ورده فيما يأتي:

أولاً: قول هذا المتعالم المفتون: "النكبة الأولى كانت وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، والوحي أشد ما يكون تتابعًا، والنبي صلى الله عليه وسلم في أوج قوته ونشاطه، ليس في وجهه ورأسه عشرون شعرة بيضاء، ولم يكتب لنا دستورًا، ولم يبين لنا طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله، ولم يعين لنا حاكمًا معينًا، فكانت أزمةً ارتد بسببها جمهور المسلمين عن الإسلام".

والجواب على هذا الكلام الباطل وما أراده منه هذا الددو المفتون من عدة أوجه:

الوجه الأول: أن الواضح من كلام هذا المتعالم المفتون أنه يريد أن يقرر أحد أمرين:

إما أن وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام حالت بينه وبين أن يجعل لأمته دستورًا، أو أن يعلمها طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله.

وإما أنه عليه الصلاة والسلام قد قصَّر في هذا الباب وهو في أوج قوته ونشاطه، وفي وقت نزول الوحي، فلم يبين هذا الأمر مع ما كان يتمتع به من قوة ونشاط.

وكلا الأمرين؛ القائل بهما أو بأحدهما يكون على خطر عظيم، وذلك لما هو معلوم أن النبي صلى الله عليه وسلم، قد قال الله تبارك وتعالى فيه: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ۝٣ إِنۡ هُوَ إِلَّا وَحۡيٞ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣-٤]، وقال: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرۡجُونَ لِقَآءَنَا ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّۖ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنۡ عَصَيۡتُ رَبِّي عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [يونس: ١٥]، وقال: ﴿قُلۡ مَا كُنتُ بِدۡعٗا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ

بِي وَلَا بِكُمۡۖ إِنۡ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ مُّبِينٞ﴾ [الأحقاف: ٩]؛ فالنبي عليه الصلاة والسلام لا يتكلم في دين الله عز وجل من تلقاء نفسه، وإنما يتكلم بوحي من الله تبارك وتعالى، فلو أراد الله تبارك وتعالى أن يجعل للأمة دستورًا، أو أن يعلمها طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله؛ لَمَا كان من النبي عليه الصلاة والسلام إلا أن يفعل ذلك ويبينه، اتباعًا وانقيادًا منه لأمر الله عز وجل ووحيه، ولا مجال له لأن يتركه أو يعرض عنه، وقد قدره الله عز وجل وأراده، إذ لا يكون في ملكه إلا ما شاءه سبحانه وتعالى وأراده، ولا خروج لأحد عن مشيئته وإرادته سبحانه وتعالى، هذا إن سلمنا جدلاً لهذا الضال المفتون بأحد هذين الأمرين الظاهرين من كلامه، وأن الأمة قد تُركت بلا دستور، وفي جهل تام بطريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله؛ هذا أولاً.

أما ثانيًا: فإنه من المعلوم أيضًا أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقبضه الله عز وجل إليه إلا وقد استوفى رزقه وأجله، وأدى ما عليه، كما في الحديث الصحيح: "أَنَّ نَفْسًا لنْ تَمُوتَ حَتَّى تَسْتَكْمِلَ أجَلَهَا وَتَسْتَوْعِبَ رِزْقَها"، فلو أراد الله تبارك وتعالى أن يجعل للأمة دستورًا، وأن يعلمها طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله؛ لَمَا قبض نبيه عليه الصلاة والسلام إليه إلا وقد أدَّى وأتم هذا الأمر الذي به يكمل الدين، إذ لا مجال له عليه الصلاة والسلام لأنْ يتركه أو يعرض عنه وقد أراده الله عز وجل منه، وهذا أيضًا إن سلمنا جدلاً لهذا المفتون الجهول بأحد هذين الأمرين الظاهرين من كلامه، وأن الأمة قد تُركت بلا دستور، وفي جهل تام بطريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله.

ثالثًا: أنه من المعلوم أيضًا أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يقبضه الله عز وجل إليه حتى خيَّره بين البقاء في الدنيا وبين لقاء ربه، ففي الحديث الصحيح: أَنَّ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ: إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُحَيَّا، أَوْ يُخَيَّرَ. فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ، وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِ عَائِشَةَ غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ ثُمَّ قَالَ: "اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الْأَعْلَى". فَقُلْتُ: إِذًا لَا

يُجَاوِرُنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ".

وفي رواية صحيحة عنها رضي الله عنها قَالَتْ: "كُنْتُ أَسْمَعُ أَنَّهُ لَنْ يَمُوتَ نَبِيٌّ حَتَّى يُخَيَّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، قَالَتْ: فَسَمِعْتُ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ وَأَخَذَتْهُ بُحَّةٌ، يَقُولُ: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَـٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩]، قَالَتْ: فَظَنَنْتُ أَنَّهُ خُيِّرَ حِينَئِذٍ، قَالَ رَوْحٌ: إِنَّهُ خُيِّرَ بَيْنَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ".

وهذا يعني أنه عليه الصلاة والسلام قد علم بدنو أجله، فلو كان الله عز وجل قد أراد منه أن يجعل للأمة دستورًا، وأن يبين لها طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله، وأن يعين لها خليفةً من بعده، لفعل، ولبادر لبيان ذلك ولم يعرض عما أراده الله عز وجل منه، بل ولما قبضه الله عز وجل إليه إلا وقد أدى هذا الأمر على أتم وجه وأكمله، وهذا أيضًا إن سلمنا جدلاً لهذا الأفاك الأثيم بأحد هذين الأمرين الظاهرين من كلامه، وأن الأمة قد تُركت بلا دستور، وفي جهل تام بطريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله.

ومن هذا الوجه وهذه الثلاث نقاط المذكورة فيه، وبناء على التسليم الجدلي لهذا الأفاك الأثيم بأحد هذين الأمرين الظاهرين من كلامه، وأن الأمة قد تُركت بلا دستور، وفي جهل تام بطريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله؛ نخرج بالآتي:

أن هذا الجهول الظلوم ولد الددو معترض على الله عز وجل وعلى دينه وعلى رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام.

أما اعتراضه على الله عز وجل فلكونه لم يرض بما رضيه الله تبارك وتعالى لأمة الإسلام، وهذا على ما قرره هو من أن الأمة تُركت بلا دستور وفي جهل تام بطريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله إلى يومنا هذا.

والسؤال الذي يوجه لهذا الأفاك الأثيم:

هل هو من المؤمنين بالقدر خيره وشره أم لا؟.

فإن قال: نعم.

قلت: حاجة الأمة إلى دستور، وعلمها ومعرفتها بطريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله؛ أمر علمه الله تبارك وتعالى أم جهله؟.

فإن قال: علمه الله تبارك وتعالى.

قلت: وهل كتبه الله عز وجل في اللوح المحفوظ مع علمه به أم لم يكتبه؟.

فإن قال: نعم؛ هو مكتوب في اللوح المحفوظ .

قلت: وهل شاءه الله عز وجل وأراده وقد كتبه في اللوح المحفوظ أم لا؟.

فإن قال: نعم؛ قد شاءه الله عز وجل وأراده.

قلت: فكيف إذن لم يوجده سبحانه وتعالى وقد شاءه وأراده.

فهل تعتقد أيها الجهول الظلوم أن أمرًا أراده الله عز وجل وكتبه في اللوح المحفوظ وشاءه وأراده من الممكن أن يتخلف وأن لا يَقدر الله عز وجل على خلقه وإيجاده!! ﴿سُبْحَـٰنَكَ هَـٰذَا بُهْتَـٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

وإن قال: لا، هو أمر لم يُرده الله تبارك وتعالى.

قلت: أمر لم يُرده الله عز وجل وأردته أنت ومن على شاكلتك من الضالين؟!!.

تعترضون على إرادة الله عز وجل وعلى حكمته وأمره!! متَّهمين رسوله الأمين عليه الصلاة والسلام بالتقصير في البلاغ وفي أداء الرسالة، وواصفين هذا الأمر الذي أراده الله عز وجل بأنه نكبة من النكبات، فهل بعد هذا الضلال من ضلال؟!!.

وهذا الأخير هو ما قصدته من اعتراضه على دين الله عز وجل وعلى رسوله الكريم عليه

الصلاة والسلام بعد اعتراضه على الله تبارك وتعالى، إذ يلزم من قوله هذا الطعن في دين الله عز وجل ونسبة النقص إليه، إذ مع وجود هذا الدين الكامل القويم إلا أن الأمة – عند هذا الأفاك الأثيم – قد تركت بلا دستور، ودون أن يُبيَّن لها طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله، كما يلزم منه أيضًا تخطئة الرسول عليه الصلاة والسلام وأنه لم يبلغ الرسالة ولم يؤد الأمانة ولم ينصح للأمة؛ إذ تركها بلا دستور، ودون أن يُبيِّن لها طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله، مما جعله – بسبب هذا الترك والتقصير – يتسبب بنكبة هي أم النكبات – عند هذا الظلوم الجهول – ارتد بسببها جمهور المسلمين عن الإسلام!!.

وهذا كله ضلال في ضلال، نسأل الله السلامة والعافية.

هذا السؤال الأول، ثم نكرر ما جاء في هذا السؤال من حوار على مَسألة مَسألة؛ مما استلزمته الكلمة الضالة التي تفوه بها هذا المفتون الجهول.

والمسائل التي يشملها هذا الحوار وتصلح لأنْ تندرج تحته ولا حاجة لنا لإعادتها؛ هي أن يقال له:

هل موت النبي عليه الصلاة والسلام أمر أراده الله عز وجل أم لم يُرده؟، ثم يُناقش بنفس الطريقة السابقة وبنفس الحوار السابق، وهذا من باب الإلزام له.

ومثله يُفعل مع الأسئلة الآتية:

السؤال: هل علم عليه الصلاة والسلام بدنو أجله وخُيِّر بين الدنيا والآخرة أم لا.

السؤال: هل قبضه الله عز وجل إليه بعد أن استوفى رزقه وأجله أم لا؟.

السؤال: هل كان عليه الصلاة والسلام يوم أن قبضه الله عز وجل إليه قد أدى ما أمره الله به من الرسالة أم لا؟.

كل هذه أسئلة تحتاج من هذا الضال المفتون إلى جواب!!.

وكلها يدار فيها الحوار على الطريقة السابقة وكما أُدير في السؤال الأول.

فإن كان من المقرين بمثل هذه الأمور الثابتة شرعًا، فما وجه اعتراضه إذًا على الله عز وجل، وعلى دينه، وعلى رسوله الكريم الأمين عليه الصلاة والسلام؟!.

وأعيد وأزيد: هذا كله إن سلمنا له جدلاً بأحد هذين الأمرين الظاهرين من كلامه، وأن الأمة قد تُركت بلا دستور، وفي جهل تام بطريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله.

هذا الوجه الأول،،،

أما الوجه الثاني، فأقول: كتابة دستور للأمة، وبيان طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله، هل هو من الدين أم لا؟ فإن كان من الدين؛ فالدين كامل لا نقص فيه، فسواء كان الدستور موجودًا أو غير موجود، فإنه لا يجوز لأحد أن يعتقد وجود الخلل في دين الله عز وجل، لا بسبب هذا الأمر ولا بغيره، وليس له أن يعتقد وجود التقصير من رسول الله عليه الصلاة والسلام في باب من الأبواب، بل وليس لأحد أن يضيف على دين الله عز وجل أو يُدخل فيه ما ليس منه، ولا أن يُنقص منه ويُخرج منه ما هو منه، هذا إن كان يعتقد أن كتابة دستور للأمة، وبيان طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله من الدين.

أما إن كان لا يعتقد أن كتابة دستور للأمة، وبيان طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله من الدين؛ فنسبة التقصير بسببه إلى النبي عليه الصلاة والسلام وأنه نكب الأمة بأعظم النكبات لَهُوَ الضلال المبين، إذ كيف تتهم النبي صلى الله عليه وسلم وتُخطئه على أمر لا تراه ولا تعتقده دينًا، فهل بعد هذا الظلم والافتراء، وبعد هذا الضلال من ضلال!!.

هذان وجهان على فرض أن النبي عليه الصلاة والسلام لم يكتب للأمة دستورًا، ولم يبين لها طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله.

أما الوجه الثالث: فهو في كونه عليه الصلاة والسلام لم يعين للأمة حاكمًا معينًا، ولم ينص

على ذلك صراحةً.

وجواب ذلك بأن يقال:

هذا الأمر لو أراده الله عز وجل كونًا وقدرًا أو أراده شرعًا؛ لَمَا كان من النبي صلى الله عليه وسلم إلا بيانه وتوضيحه والتنصيص عليه، بل ولكان باستطاعته أن يبين وينص على الخلفاء والحكام في جميع دول العالم منذ العهد الأول – أعني: بعد وفاته عليه الصلاة والسلام – إلى قيام الساعة، سواء المسلمون منهم أو الكفار، وذلك بوحي من الله عز وجل إليه، لو شاء الله تبارك وتعالى ذلك، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يعلم الغيب، ولكن الله تبارك وتعالى يعلم ما هو كائن إلى قيام الساعة، وقد كتب هؤلاء الخلفاء والحكام عنده في اللوح المحفوظ، فليس هو بعاجز سبحانه وتعالى عن بيان ذلك وذكره، وعن التنصيص عليه صراحة وبكل وضوح، بأسمائهم وأزمنتهم وأماكنهم، إن هو أراد ذلك سبحانه وتعالى، ولكنه تبارك وتعالى غيَّب ذلك عن خلقه لحكمة أرادها، وقد أنزل لهم مع هذا التغييب للأسماء والأماكن والأزمنة تشريعًا – سواء في كتابه أو على ألسنة أنبيائه ورسله عليهم الصلاة والسلام – ينطلقون من خلاله ويفهمون به هذه المسائل وهذه الأحكام، وهو ما بيَّنه نبينا عليه الصلاة والسلام بأحسن بيان، وتلقاه عنه أصحابه، وعملوا به من بعده وساروا عليه، رضي الله عنهم أجمعين، ثم تابعهم أهل السنة والجماعة على ذلك، وهو ما سيبقى عليه السلفيون؛ أهل السنة والجماعة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ولم ولن يخالف في ذلك ويخرج عنه، إلا أهل الأهواء والبدع والضلال؛ العابثون في دين الله عز وجل، والمعرضون عن النصوص المحكمة البينة الواضحة التي فيها بيان هذا الأمر، متمسكين ومتشبثين إما بنصوص متشابهة مع إعراض تام عن المحكم – إذ لا يردون ما تشابه عليهم إلى ما هو محكم من النصوص – وإما بعقول فاسدة لا تُسلم للوحي ونصوصه، كما هو حال هذا الجهول الظلوم؛ ولد الددو؛ المفتري على رسول الله عليه الصلاة والسلام؛ والمتفوه عليه بما لا يقوله من يعرف لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدره وفضله، وهذا واضح في عبارته الفاسدة الضالة التي ختم بها عبارته

الأولى، وذلك قوله:

"فكانت أزمةً ارتد بسببها جمهور المسلمين عن الإسلام".

فالنبي عليه الصلاة والسلام الذي أرسله الله عز وجل رحمة للعالمين؛ يدعوهم إلى الحق، وينير لهم الطريق، يُتهم بهذا الاتهام الفاجر، وأنه تسبب بأزمةٍ ارتد بسببها جمهور المسلمين عن الإسلام، يُتهم بهذا الاتهام من رجل ينتسب إلى العلم وأهله!!.

فأين أنت يا من تنال من جناب النبي عليه الصلاة والسلام عن قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، وقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وقوله: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [فاطر: ٢٤]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨]، وغيرها من الآيات التي تُبطل هذه الفرية الفاجرة، التي افتريتها على النبي الكريم عليه الصلاة والسلام، وأنه تسبب بأزمةٍ ارتد بسببها جمهور المسلمين عن الإسلام!!، ﴿سُبْحَٰنَكَ هَٰذَا بُهْتَٰنٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١٦].

بل أقول: بطلان هذا القول لا يخفى على رجل شم رائحة العلم، إذ لا قائل بأن الردة التي وقعت بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام كان سببها عدم تعيين الخليفة وعدم التنصيص عليه صراحة؟!، فيا ليت هذا المفتري الجهول يخبرنا بسلفه في هذا الباب ومن سبقه لمثل هذا القول؟!، أم أن الضلال الذي هو عليه والذي يريد أن يقرره في هذا الباب، فتح أمامه أبوابًا من الشر والباطل ليستعين بها على تقرير باطله؟!، وأنساه السبب الحقيقي لتلكم الردة وما هو مقرر فيها في شريعة الإسلام.

ففي صحيح مسلم: "بَاب الْأَمْرِ بِقِتَالِ النَّاسِ حَتَّى يَقُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ. وَيُقِيمُوا الصلاة ويؤتوا الزكاة، يؤمنوا بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم، وَأَنَّ مَنْ فَعَلَ ذَلِكَ عَصَمَ نَفْسَهُ وَمَالَهُ إِلَّا بِحَقِّهَا، وَوُكِّلَتْ سَرِيرَتُهُ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى. وَقِتَالِ مَنْ مَنَعَ الزَّكَاةَ أَوْ غَيْرَهَا

مِنْ حُقُوقِ الإِسْلَامِ، وَاهْتِمَامِ الإِمَامِ بِشَعَائِرِ الإِسْلَامِ.

ثم ساق الأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأنه قال:

"لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ، وَكَفَرَ مَنْ كَفَرَ مِنَ الْعَرَبِ، قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِأَبِي بَكْرٍ: كَيْفَ تُقَاتِلُ النَّاسَ، وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله. فَمَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ فَقَدْ عَصَمَ مِنِّي مَالَهُ وَنَفْسَهُ إِلَّا بِحَقِّهِ. وَحِسَابُهُ على الله". فقال أبو بكر: والله! لأقتلن مَنْ فَرَّقَ بَيْنَ الصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ فَإِنَّ الزَّكَاةَ حَقُّ الْمَالِ. وَاللَّهِ! لَوْ مَنَعُونِي عِقَالًا كَانُوا يُؤَدُّونَهُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم لَقَاتَلْتُهُمْ عَلَى مَنْعِهِ. فَقَالَ عُمَرُ بْنُ الخطاب: فوالله! ما هو إلا رَأَيْتُ اللَّهَ عز وجل قَدْ شَرَحَ صَدْرَ أبي بكر للقتال. فعرفت أنه الحق".

فسبب ارتداد الناس إذن هو منعهم الزكاة، وهذا دافعه حب الدنيا والتعلق بها وبالأموال، وغير ذلك، ولا شأن فيها لتعيين الخليفة من عدمه، كما هو زعم هذا المفتون الظلوم، عافانا الله مما ابتلاه وأمثاله به.

وهذا الأثر عن أبي هريرة رضي الله عنه وقوله: "لَمَّا تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ بَعْدَهُ ... إلخ"، يقودنا إلى الفقرة الثانية من كلام هذا الجهول الظلوم ولد الددو، وذلك قوله:

"كان رجال هذه الأزمة المهاجرون والأنصار، اجتمعوا على بيعة أبي بكر في سقيفة بني ساعدة، ثم اجتمعوا على بيعته في المسجد البيعة العامة، ولم يستطيعوا أن يُرجعوا إلينا النبوة، لأنها غير مكتسبة، وقد خُتمت النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم، لكنهم استطاعوا أن يوجدوا لنا أحسن بديل بعد النبوة، نزلوا درجةً أقل من النبوة، لكن هي أحسن شيءٍ بعد النبوة، وهي الخلافة الراشدة على منهج النبوة".

قوله: "كان رجال هذه الأزمة المهاجرون والأنصار".

أية أزمةٍ يُريد هذا الأفاك الأثيم؟ يُريد بذلك ما افتراه على رسول الله صلى الله عليه وسلم من أنه ترك الأمة بلا دستور، ودون أن يبين لها طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله، أو أن يعين لها حاكمًا معينًا، حتى تسبب بارتداد جمهور المسلمين عن الإسلام.

وهذا الكلام الباطل قد سبق الرد عليه وبيان بطلانه، والذي أود التعليق عليه هنا والوقوف عنده، هو قوله كما في الفقرة الثانية: "كان رجال هذه الأزمة المهاجرون والأنصار .. إلخ"، فأقول:

كان رجال هذه الأزمة المهاجرون والأنصار لِمَا تلقَّوه عن نبيهم عليه الصلاة والسلام، ولِمَا عرفوه وفهموه من كلامه ومن تعامله.

وذلك: إما مما نص عليه صراحة؛ كقوله صلى الله عليه وسلم: "الْخِلافَةُ فِي قُرَيْشٍ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ"، وقوله: "قُرَيْشٌ وُلاةُ النَّاسِ فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ".

وهذا يعني أن الأنصار لا نصيب لهم في هذه الخلافة، وإنما هي في قريش، أي: أنها – في ذاك الزمان – تكون في المهاجرين، فلينظروا من أولى بها منهم.

وهو ما عرفوه من عدة نصوص ثبتت، ومن عدة مواقف صدرت عن النبي صلى الله عليه وسلم.

فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ ابن أَبِي بَكْرَةَ عَنْ أَبِيهِ أَنّ رَجُلا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ رَأَيْتُ كَأَنَّ مِيزَانًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَوُزِنْتَ فِيهِ أَنْتَ وَأَبُو بَكْرٍ فَرَجَحْتَ بِأَبِي بَكْرٍ ثُمَّ وُزِنَ فِيهِ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ فَرَجَحَ أَبُو بَكْرٍ بِعُمَرَ ثُمَّ وُزِنَ فِيهِ عُمَرُ وَعُثْمَانُ فَرَجَحَ عُمَرُ بِعُثْمَانَ ثُمَّ رُفِعَ الْمِيزَانُ فَاسْتَأَلَهَا يَعْنِي تَأَوَّلَهَا ثُمَّ قَالَ: "خِلافَةُ نُبُوَّةٌ ثُمَّ يُؤْتِي اللَّهُ الملك من يشاء".

وعن الأسود ابن هِلالٍ أَنَّ أَعْرَابِيًا لَهُمْ قَالَ: شَهِدْتُ صَلاةَ الصُّبْحِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ وَأَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ بِوَجْهِهِ فَقَالَ: "رَأَيْتُ نَاسًا مِنْ أُمَّتِي الْبَارِحَةَ وُزِنُوا فَوَزَنَ أَبُو بَكْرٍ

وَوُزِنَ عُمَرُ فَوَزَنَ".

وَعَن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم ذَاتَ يَوْمٍ فَقَالَ:

"رَأَيْتُ آنِفًا كَأَنِّي أُعْطِيتُ الْمَقَالِيدَ وَالْمَوَازِينَ فَأَمَّا الْمَقَالِيدُ فَهِيَ الْمَفَاتِيحُ فَوُضِعْتُ فِي كَفَّةٍ وَوُضِعَتْ أمتي في كفة فرجحت لهم ثم جيء بأبي بكر فرجع بِهِمْ ثُمَّ جِيءَ بِعُمَرَ فَرَجَحَ بِهِمْ ثُمَّ جِيءَ بِعُثْمَانَ فَرَجَحَ ثُمَّ رُفِعَتْ". فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ فَأَيْنَ نَحْنُ؟. قَالَ: "أَنْتُمْ حَيْثُ جعلتم أنفسكم".

وعن سالم بن عُمَرَ قَالَ: إِنَّكُمْ لَتَعْلَمُونَ أَنَّا كُنَّا نَقُولُ فِي عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ فِي الخلافة.

وَعَن ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنَّا نَقُولُ وَرَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم حي أفضل أمة النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم بَعْدَهُ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين.

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَتِ امْرَأَةٌ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم تُكَلِّمُهُ فِي شَيْءٍ فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَرَأَيْتَ إِنْ رَجَعْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَعْنِي الْمَوْتَ قَالَ: "إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أبا بكر".

وَعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ:

"ادْعِي لِي عَبْدَ الرَّحْمَنِ بْنَ أَبِي بَكْرٍ حَتَّى أَكْتُبَ لأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا لا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ أَحَدٌ بَعْدِي" ثُمَّ قَالَ: "دَعِيهِ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ يَخْتَلِفَ المؤمنون في أبي بكر".

وَعَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا مَرِضَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم مَرَضَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، أَتَاهُ يُؤْذِنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ". قُلْتُ: إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ أَسِيفٌ، إِنْ يَقُمْ مَقَامَكَ يبك، فَلَا يَقْدِرُ عَلَى الْقِرَاءَةِ، قال: "مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ". فَقُلْتُ مِثْلَهُ، فَقَالَ فِي الثَّالِثَةِ أَوِ الرَّابِعَةِ: "إِنَّكُنَّ صَوَاحِبُ يُوسُفَ، مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ". فَصَلَّى، وَخَرَجَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم يُهَادَى بَيْنَ رَجُلَيْنِ،

كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ الْأَرْضَ، فَلَمَّا رَآهُ أَبُو بَكْرٍ ذَهَبَ يَتَأَخَّرُ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ: "أَنْ صَلِّ". فَتَأَخَّرَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه، وَقَعَدَ النَّبِيُّ صلى الله عليه وسلم إِلَى جَنْبِهِ، وَأَبُو بَكْرٍ يُسْمِعُ النَّاسَ التَّكْبِيرَ.

فهذه جملة من الآثار دلالتها واضحة على خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وأنه أولى بها من غيره، وقد عرف أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم لأبي بكر سابقته وفضله، وما كانوا ليتقدمونه فيها رضي الله عنهم أجمعين.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"والتحقيق في "خلافة أبي بكر" وهو الذي يدل عليه كلام أحمد: أنها انعقدت باختيار الصحابة ومبايعتهم له وأن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بوقوعها على سبيل الحمد لها والرضى بها؛ وأنه أمر بطاعته وتفويض الأمر إليه وأنه دل الأمة وأرشدهم إلى بيعته.

فهذه الأوجه الثلاثة: الخبر والأمر والإرشاد: ثابت من النبي صلى الله عليه وسلم.

"فالأول": كقوله: "رَأَيْت كَأَنِّي عَلَى قَلِيبٍ أَنْزِعُ مِنْهَا فَأَتَى ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ فَنَزَعَ. ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ" الحديث. وكقوله: "كَأَنَّ مِيزَانًا دُلِّيَ مِنْ السَّمَاءِ إلَى الْأَرْضِ. فَوُزِنْت بِالْأُمَّةِ فَرَجَحْت ثُمَّ وُزِنَ عُمَرُ" الحديث. وكقوله: "ادْعِي لِي أَبَاك وَأَخَاك حَتَّى أَكْتُبَ لِأَبِي بَكْرٍ كِتَابًا لَا يَخْتَلِفُ عَلَيْهِ النَّاسُ مِنْ بَعْدِي ثُمَّ قَالَ: يَأْبَى اللَّهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إلَّا أَبَا بَكْرٍ". فهذا إخبار منه بأن الله والمؤمنين: لا يعقدونها إلا لأبي بكر؛ الذي هم بالنص عليه. وكقوله: "أُرِيَ اللَّيْلَةَ رَجُلٌ صَالِحٌ كَأَنَّ أَبَا بَكْرٍ نِيطَ بِرَسُولِ اللَّهِ" الْحَدِيثُ. وَقَوْلُهُ: {خِلَافَةُ النُّبُوَّةِ ثَلَاثُونَ سَنَةً ثُمَّ تَصِيرُ مُلْكًا".

وأما "الأمر": فكقوله: "اقْتَدَوْا بالذين مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ". وقوله: "عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ مِنْ بَعْدِي". وقوله للمرأة التي سألته إن لم أجدك؟ قال: "فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ". وقوله لأصحاب الصدقات: "إذَا لَمْ تَجِدُوهُ أَعْطُوهَا لِأَبِي بَكْرٍ". ونحو ذلك.

و "الثالث": تقديمه له في الصلاة وقوله: "سُدُّوا كُلَّ خَوْخَةٍ فِي الْمَسْجِدِ إلَّا خَوْخَةَ أَبِي بَكْرٍ". وغير ذلك من خصائصه ومزاياه.

وهذه الوجوه الثلاثة الثابتة بالسنة دل عليها القرآن.

"فالأول": في قوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ الآية: وقوله: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾، وقوله: ﴿وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾.

و "الثاني": قوله: ﴿سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ الآية.

و "الثالث" كقوله: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى﴾. وقوله: ﴿ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾. وقوله: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾. ونحو ذلك.

فثبتت صحة خلافته ووجوب طاعته بالكتاب والسنة والإجماع؛ وإن كانت إنما انعقدت بالإجماع والاختيار. كما أن الله إذا أمر بتولية شخص أو إنكاحه. أو غير ذلك من الأمور معه؛ فإن ذلك الأمر لا يحصل إلا بعقد الولاية والنكاح، والنصوص قد دلت على أمر الله بذلك العقد ومحبته له، فالنصوص دلت على أنهم مأمورون باختياره والعقد له وأن الله يرضى ذلك ويحبه. وأما حصول المأمور به المحبوب: فلا يحصل إلا بالامتثال. فلما امتثلوا ما أمروا به عقدوا له باختيارهم وكان هذا أفضل في حقهم وأعظم في درجتهم"[(١)].

هذا من جهة، ومن جهة أخرى، فقد بيَّن رسول الله صلى الله عليه وسلم أن سنة الخلفاء الراشدين هي سنة لأمته من بعده، فقال:

"عَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ مِنْ بَعْدِي، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ".

وقد خرج المسلمون من هدي الخلفاء الراشدين وسنتهم في باب الإمارة والحكم بأمور واضحة

(١) مجموع الفتاوى (٣٥ / ٤٨).

ثابتة ينضبط لهم فيها هذا الباب.

قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله: "الخلافة منصب كبير، ومسؤولية عظيمة، وهي تولي تدبير أمور المسلمين؛ بحيث يكون هو المسؤول الأول في ذلك، وهي فرض كفاية، لأن أمور الناس لا تقوم إلا بها.

وتحصل الخلافة بواحد من أمور ثلاثة:

الأول: النص عليه من الخليفة السابق، كما في خلافة عمر بن الخطاب فإنها بنص من أبي بكر رضي الله عنه.

الثاني: اجتماع أهل الحل والعقد؛ سواء كانوا معينين من الخليفة السابق؛ كما في خلافة عثمان رضي الله عنه، فإنها باجتماع من أهل الحل والعقد المعينين من قبل عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أم غير معينين كما في خلافة أبي بكر رضي الله عنه على أحد الأقوال، وكما في خلافة علي رضي الله عنه.

الثالث: القهر والغلبة، كما في خلافة عبد الملك بن مروان حين قتل ابن الزبير وتمت الخلافة له"(١).

وقال العلامة صالح الفوزان حفظه الله: "قالوا: تنعقد الخلافة بأحد ثلاثة أمور:

الأمر الأول: اختيار أهل الحل والعقد له، فإذا اختاره أهل الحل والعقد وبايعوه لزمت طاعته؛ كخلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه، فإنها ثبتت باختيار أهل الحل والعقد، وليس بلازم أن يختاره كل المسلمين كما في الانتخابات، هذا ليس في نظام الإسلام، بل يكفي أهل الحل والعقد من العلماء والأمراء وأهل الرأي والمشورة، فإذا اختاروا إمامًا للمسلمين لزمت طاعته على جميع المسلمين، ولا أحد يقول: أنا ما اخترت، أنا ما بايعت؛ كما يقول بعض الجهال الآن.

---

(١) لمعة الاعتقاد (ص: ١٥٦).

أنت من المسلمين، والمسلمون اختاروا هذا الرجل إمامًا لهم، فلا يجوز لك أن تشذ وتخرج منهم، بل قال النبي صلى الله عليه وسلم: "المسلمون يد على من سواهم، يسعى بذمتهم أدناهم"، وإذا كان أدناهم يسعى بذمتهم، فكيف بأهل الحل والعقد والمشورة والرأي؟، فالصحابة أطاعوا لأبي بكر مع أن الذين بايعوه هم قادة المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة، وكذلك عثمان رضي الله عنه اختاره أهل الشورى الستة الذين عهد إليهم عمر رضي الله عنه، فقد عهد إلى بقية العشرة الذين توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، فالستة اجتمع رأيهم على عثمان فبايعوه، فلزمت طاعته جميع المسلمين وانقادوا له.

الأمر الثاني: ولاية العهد، فإذا عهد ولي الأمر إلى أحد من بعده تلزم طاعته، وتنعقد إمامته، كما عهد أبو بكر لعمر رضي الله عنهما فسمعوا له وأطاعوا رضي الله عنهم.

الأمر الثالث: إذا كان الناس ليس لهم إمام؛ فقام رجل فيه شجاعة وقوة ورأي وتغلب على الناس بسيفه حتى خضعوا له، فهذا تلزم طاعته، ويمثلون لهذا بعبد الملك بن مروان، فالناس في عهده كانوا بدون إمام عام، فقام الرجل بشجاعة وشهامة وقوة ورأي فقاتل وتغلب وأطاع له المسلمون، فصار إمامًا لهم وانعقدت إمامته بذلك"(١).

وقال العلامة صالح آل الشيخ حفظه الله: "فأهل السنة يرون أن الولاية الشرعية تحصل عن أحد طريقين: إما باختيار من أهل الحل والعقد، وإما بغلبة، فمن غلب ودعا الناس إلى بيعته فتجب بيعته، ومن أختير من أهل الحل والعقد ودعا أهل الحل والعقد إلى بيعته وجبت بيعته، وقد حصل هذا في الإسلام وهذا.

فبيعة الخلفاء الراشدين كانت عن اختيار، وبيعة الولاة وأمراء المؤمنين من بني أمية وبني العباس وما بعدهم إلى زمننا هذا حصلت بالغلبة، لا بالاختيار، وكل من الحالين أمر شرعي، تلزم

(١) شرح عقيدة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (ص: ١٢٩).

عنه وتتفرع عنه الأحكام الشرعية من الطاعة وعدم جواز الخروج، ومن المحبة والنصرة فيما أوجب فيه الله جل وعلا النصرة وأمر فيه، وهذا مما يتميز به أهل السنة عن الخوارج والمبتدعة، وفي هذا الزمان كثرت المخالفة في هذا الأصل العظيم، والناجي من نجاه الله جل وعلا، وكثير ممن يعتني بمنهج أهل السنة والجماعة، لا يعتني بمنهجهم في الإمامة، وأهل السنة والجماعة عقائدهم يجب أخذها جميعًا دون تفريق بين باب وباب، لأننا إذا فرقنا نكون على شيء من الهوى، فهذه الأبواب تسمى عند أهل العلم أبواب الاعتقاد في الإمامة، لأنهم خالفوا بذلك الخوارج والمعتزلة وطوائف من الأشاعرة"[١].

وبهذا نعلم أن الشريعة الإسلامية لم تهمل باب الخلافة والإمامة والإمارة، ولم تغفل عنه، بل أثبتت ذلك بأصول وقواعد ثابتة راسخة، وبينت أن الخلافة في قريش، وأنها قد تتخلف ويحكم من ليس بقرشي، فتجب طاعته – والحال هذه – ولا يجوز الخروج عليه وقد استتب له الأمر، وولي الخلافة والإمارة، وهذه كلها أمور واضحة في شريعتنا، وإن لم يأت التنصيص صراحة على أسماء الحكام والأمراء على مر العصور والأزمان لحكمة أرادها الله عز وجل، وللتمحيص والاختبار الذي يظهر به المتبع من المبتدع، والعابد الطائع من المُعرِض العاصي الفاسق، وهكذا، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمۡحَقَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤١]، وقوله: ﴿وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤]، وقوله: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمۡ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٠]، وقوله: ﴿وَلِيَعۡلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلۡغَيۡبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ﴾ [الحديد: ٢٥]، وقوله: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ﴾ [الملك: ٢].

هذا من حيث الرد على هذا الأفاك الأثيم محمد الحسن ولد الددو وإبطال فريته التي افتراها على الله عز وجل، وعلى دينه، وعلى رسوله الكريم الأمين عليه الصلاة والسلام.

---

(١) من شرحه للمعة الاعتقاد.

✸ ما يجب على كل مسلم ومسلمة اعتقاده في هذا الباب.

أما من حيث التأصيل والتقعيد وبيان ما يجب على كل مسلم ومسلمة اعتقاده في باب الخلافة وغيرها؛ فأقول:

◈ أولاً: يجب على كل مسلم ومسلمة اعتقاد أن دين الله عز وجل كامل لا نقص فيه، وأن فيه تبيان كل شيء، وأنه هدًى ورحمةٌ للعالمين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ٥٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ مِن رَّبِّكُمْ فَـَٔامِنُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ﴾ [النساء: ١٧٠]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُم بُرْهَٰنٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]، وقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥]، وقال: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الزمر: ٤١]، وقال: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ﴾ [الشورى: ١٧]، وقال: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنعام: ٣٨]، وغيرها من الآيات الدالة دلالة واضحة على كمال دين الله عز وجل وشرعه، والتي تنقض فرية هذا الأفاك الأثيم وتبطلها، إذ ليس من المعقول أن يُغفل الله تبارك وتعالى – مع كمال دينه وشرعه وإحكامه لكل ما يحتاجه الناس لدينهم ودنياهم – أمرًا؛ هو غاية في الأهمية؛ تستقيم به شئون العباد والبلاد.

يقول الإمام الطبري رحمه الله:

"القول في تأويل قوله: ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم مَّا فَرَّطْنَا

فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قل لهؤلاء المعرضين عنك، المكذبين بآيات الله: أيها القوم، لا تحسبُنَّ الله غافلاً عما تعملون، أو أنه غير مجازيكم على ما تكسبون! وكيف يغفل عن أعمالكم، أو يترك مجازاتكم عليها، وهو غير غافل عن عمل شيء دبَّ على الأرض صغيرٍ أو كبيرٍ، ولا عمل طائر طار بجناحيه في الهواء، بل جعل ذلك كله أجناسًا مجنَّسة وأصنافًا مصنفة، تَعرف كما تَعرفون، وتتصرف فيما سُخِّرت له كما تتصرفون، ومحفوظ عليها ما عملت من عمل لها وعليها، ومُثْبَت كل ذلك من أعمالها في أم الكتاب، ثم إنه تعالى ذكره مميتها ثم منشرها ومجازيها يوم القيامة جزاءَ أعمالها.

يقول: فالرب الذي لم يضيِّع حفظَ أعمال البهائم والدواب في الأرض، والطير في الهواء، حتى حفظ عليها حركاتها وأفعالها، وأثبت ذلك منها في أم الكتاب، وحشرها ثم جازاها على ما سلف منها في دار البلاء، أحرى أن لا يُضيع أعمالكم، ولا يُفَرِّط في حفظ أفعالكم التي تجترحونها، أيها الناس، حتى يحشركم فيجازيكم على جميعها، إن خيرًا فخيرًا، وإن شرًّا فشرًّا، إذ كان قد خصكم من نعمه، وبسط عليكم من فضله، ما لم يعمَّ به غيركم في الدنيا، وكنتم بشكره أحقَّ، وبمعرفة واجبه عليكم أولى، لما أعطاكم من العقل الذي به بين الأشياء تميِّزون، والفهم الذي لم يعطه البهائم والطيرَ، الذي به بين مصالحكم ومضارِّكم تفرِّقون"[1].

ويقول العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

"أي: جميع الحيوانات، الأرضية والهوائية، من البهائم والوحوش والطيور، كلها أمم أمثالكم خلقناها. كما خلقناكم، ورزقناها كما رزقناكم، ونفذت فيها مشيئتنا وقدرتنا، كما كانت نافذة فيكم.

---

(١) تفسير الطبري (١١ / ٣٤٤).

﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَـٰبِ مِن شَيْءٍ﴾، أي: ما أهملنا ولا أغفلنا، في اللوح المحفوظ شيئًا من الأشياء، بل جميع الأشياء، صغيرها وكبيرها، مثبتة في اللوح المحفوظ، على ما هي عليه، فتقع جميع الحوادث طبق ما جرى به القلم.

وفي هذه الآية، دليل على أن الكتاب الأول، قد حوى جميع الكائنات، وهذا أحد مراتب القضاء والقدر، فإنها أربع مراتب: علم الله الشامل لجميع الأشياء، وكتابه المحيط بجميع الموجودات، ومشيئته وقدرته النافذة العامة لكل شيء، وخلقه لجميع المخلوقات، حتى أفعال العباد.

ويحتمل أن المراد بالكتاب، هذا القرآن، وأن المعنى كالمعنى في قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ تِبْيَـٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾"[1].

والمقصود: أن دين الله عز وجل فيه الهدى والنور، وأن الله تبارك وتعالى أعلم بخلقه وبما يصلح لهم، سواء لدينهم أو لدنياهم.

◈ ثانيًا: يجب على كل مسلم ومسلمة اعتقاد أن الله عز وجل أرسل رسوله بالهدى ودين الحق الذي لا نقص فيه ولا خلل والذي هو صالح لكل زمان ومكان.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣]، وقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [الفتح: ٢٨]، وقال: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [البقرة: ١١٩]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَـٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا۟ عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الرعد: ٣٠]، وقال: ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الإسراء: ١٠٥]، وقال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]،

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٢٥٥).

وقال: ﴿قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّۗ أَفَمَن يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [يونس: ٣٥]، وقال: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُواْ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُواْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٥١]، وقال: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣]، وقال: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَٱصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ ٱللَّهُۚ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٩]، وقال: ﴿وَٱتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢]، وقال: ﴿قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِيۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓۚ﴾ [سبأ: ٥٠]، وقال: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [الشورى: ٣]، وقال: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢٥﴾ [الحديد: ٢٥]، وقال: ﴿وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦]، **وغيرها من الآيات التي تنقض فرية هذا الأفاك الأثيم وتبطلها، وتبين كمال الدين وصلاحه لكل زمان ومكان.**

يقول الإمام الطبري رحمه الله:

"القول في تأويل قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ﴾.

قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: الله الذي يأبى إلا إتمام دينه ولو كره ذلك جاحدوه ومنكروه، : ﴿ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ﴾، **محمدًا صلى الله عليه وسلم،** ﴿بِٱلْهُدَىٰ﴾، **يعني: ببيان فرائض الله على خلقه، وجميع اللازم لهم، وبدين الحق، وهو الإسلام،** ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ

كُلِّهِۦ﴾، يقول: ليعلي الإسلام على الملل كلها، ولو كره المشركون بالله ظهورَه عليها"[١].

ويقول العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

"﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾، أي: بالعلم النافع والعمل الصالح. بالعلم الذي يهدي إلى الله وإلى دار كرامته، ويهدي لأحسن الأعمال والأخلاق، ويهدي إلى مصالح الدنيا والآخرة.

﴿وَدِينِ ٱلۡحَقِّ﴾، أي: الدين الذي يدان به، ويتعبد لرب العالمين الذي هو حق وصدق، لا نقص فيه، ولا خلل يعتريه، بل أوامره غذاء القلوب والأرواح، وراحة الأبدان، وترك نواهيه سلامة من الشر والفساد، فما بُعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى ودين الحق، أكبر دليل وبرهان على صدقه، وهو برهان باق ما بقي الدهر، كلما ازداد العاقل تفكرًا، ازداد به فرحًا وتبصرًا.

﴿لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾، أي: ليعليه على سائر الأديان، بالحجة والبرهان، ويظهر أهله القائمين به بالسيف والسنان، فأما نفس الدين، فهذا الوصف ملازم له في كل وقت، فلا يمكن أن يغالبه مغالب، أو يخاصمه مخاصم إلا فلجه وبلسه، وصار له الظهور والقهر، وأما المنتسبون إليه، فإنهم إذا قاموا به، واستناروا بنوره، واهتدوا بهديه، في مصالح دينهم ودنياهم، فكذلك لا يقوم لهم أحد، ولابد أن يظهروا على أهل الأديان، وإذا ضيعوه واكتفوا منه بمجرد الانتساب إليه، لم ينفعهم ذلك، وصار إهمالهم له سبب تسليط الأعداء عليهم، ويعرف هذا، من استقرأ الأحوال ونظر في أول المسلمين وآخرهم"[٢].

وفي هذه الأدلة وما قرره الأئمة في هذا الباب دلالة واضحة على أن دين الإسلام قد شمل مصالح الدين والدنيا، ولم يترك شيئًا مما يحتاجه الناس من أمور دينهم ودنياهم إلا وبينه على

---

(١) تفسير الطبري (١٤ / ٢١٤).

(٢) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٨٥٩).

أكمل وجه وأحسنه.

◈ ثالثًا: يجب على كل مسلم ومسلمة اعتقاد أن الله عز وجل أرسل رسوله بالهدى ودين الحق وأمره بالبلاغ المبين.

قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل: ٤٤]، وقال: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩]، وقال: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل: ٦٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۖ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [المائدة: ٦٧]، وغيرها من الآيات التي تنقض فرية هذا الأفاك الأثيم وتبطلها، وتبين أن الله عز وجل لم يرسل الرسل عليهم الصلاة والسلام إلا وقد أمرهم بأن يبلغوا البلاغ المبين الذي لا يتخلف، والذي هو خير للعباد والبلاد.

يقول الإمام الطبري رحمه الله:

"وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾، يقول: نزل عليك يا محمد هذا القرآن بيانًا لكل ما بالناس إليه الحاجة من معرفة الحلال والحرام والثواب والعقاب، ﴿وَهُدًى﴾ من الضلال، ﴿وَرَحْمَةً﴾ لمن صدَّق به، وعمل بما فيه من حدود الله، وأمره ونهيه، فأحل حلاله، وحرَّم حرامه، ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾، يقول: وبشارة لمن أطاع الله وخضع له بالتوحيد، وأذعن له بالطاعة، يبشره بجزيل ثوابه في الآخرة، وعظيم كرامته"[1].

ويقول العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

"وقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ﴾ في أصول الدين وفروعه، وفي أحكام الدارين

(١) تفسير الطبري (١٤ / ٢١٤).

وكل ما يحتاج إليه العباد، فهو مبين فيه أتم تبيين بألفاظ واضحة ومعان جلية"[(١)].

❖ رابعًا: يجب على كل مسلم ومسلمة اعتقاد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة.

وقد أثبت الله تبارك وتعالى هذا الأمر في كتابه، فقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ مِن رَّبِّي﴾ [الأعراف: ٢٠٣]، وقال: ﴿قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِٕ نَفْسِيٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [يونس: ١٥]، وقال: ﴿قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [الأنبياء: ١٠٨]، وقال: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾ [الأحقاف: ٩]، وقال: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠].

بين الله تبارك وتعالى هذا الأمر في كتابه بيانًا واضحًا جليًّا لا لبس فيه ولا إشكال، مؤكِّدًا ذلك بأمره سبحانه وتعالى باتباع النبي الكريم عليه الصلاة والسلام وبطاعته الطاعة المطلقة، التي لا تجتمع والإخلال بتبليغ الدين وتبليغ الوحي أو التقصير فيهما، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَٰلَكُمْ﴾ [محمد: ٣٣]، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٢]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ١]، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٦]، وقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَٱحْذَرُواْ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [المائدة: ٩٢]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ﴾ [الأنفال: ٢٠]، وقال:

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ٤٤٦).

﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [التغابن: ١٢]، وقال: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ وَعَلَيْكُم مَّا حُمِّلْتُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُواْ ۚ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحديد: ٢٨]، وقال: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِي لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٨]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلْكُفْرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفْوَٰهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ ۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ ۛ سَمَّٰعُونَ لِلْكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوْمٍ ءَاخَرِينَ لَمْ يَأْتُوكَ ۖ يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ مِنۢ بَعْدِ مَوَاضِعِهِۦ ۖ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِيتُمْ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمْ تُؤْتَوْهُ فَٱحْذَرُواْ ۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمْ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمْ ۚ لَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا خِزْيٌ ۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٤١].

وعند قول الله تبارك وتعالى: ﴿قُلْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [آل عمران: ٣٢]، **يقول الإمام الطبري رحمه الله:**

"يعني بذلك جل ثناؤه: قل، يا محمد، لهؤلاء الوفد من نصارى نجران: أطيعوا الله والرسول محمدًا، فإنكم قد علمتم يقينًا أنه رسولي إلى خلقي، ابتعثتُه بالحق، تجدونه مكتوبًا عندكم في الإنجيل، فإن تولَّوا فاستدبروا عما دعوتهم إليه من ذلك، وأعرضوا عنه، فأعلمهم أن الله لا يحب من كفر بجحد ما عرف من الحق، وأنكره بعد علمه، وأنهم منهم، بجحودهم نبوَّتك، وإنكارهم الحق الذي أنت عليه، بعد علمهم بصحة أمرك، وحقيقة نبوتك"[(١)].

(١) تفسير الطبري (٦ / ٣٢٥).

ويقول العلامة عبد الرحمن السعدي رحمه الله:

"وقوله: وهذا أمر من الله تعالى لعباده بأعم الأوامر، وهو طاعته وطاعة رسوله التي يدخل بها الإيمان والتوحيد، وما هو من فروع ذلك من الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة، بل يدخل في طاعته وطاعة رسوله اجتناب ما نهى عنه، لأن اجتنابه امتثالاً لأمر الله هو من طاعته، فمن أطاع الله ورسوله، فأولئك هم المفلحون ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾؛ أي: أعرضوا عن طاعة الله ورسوله فليس ثم أمر يرجعون إليه إلا الكفر وطاعة كل شيطان مريد"(١).

وفي بيان طاعة الرسول عليه الصلاة والسلام، وأنها طاعة مطلقة، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله:

"ولكن هو تبارك وتعالى يأمر عباده فيطيعونه، وكل من وجبت طاعته من المخلوقين فإنما وجبت لأن ذلك طاعة لله تعالى، فالرسل يبلغون عن الله أمره؛ فمن أطاعهم فقد أطاع الله، ومن بايعهم فقد بايع الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ﴾ [النساء: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾ [النساء: ٨٠].

وأولو الأمر من أهل العلم وأهل الإمارة إنما تجب طاعتهم إذا أمروا بطاعة الله ورسوله، قال صلى الله عليه وسلم في الحديث الصحيح: "على المرء المسلم السمع والطاعة في عسره ويسره ومنشطه ومكرهه، ما لم يُؤمَر بمعصية الله، فإذا أُمِر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة"، وقال صلى الله عليه وسلم: "لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق""(٢).

وقال: "فولاة الأمور من العلماء والأمراء يُطاعون إذا لم يأمروا بخلاف أمره؛ ولهذا جعل الله طاعتهم في ضمن طاعته، قال الله تعالى: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء:

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (ص: ١٢٨).

(٢) مجموع الفتاوى (١ / ٣١٦).

٥٩]، فقال: وأطيعوا الرسول وأولي الأمر: لأن أولي الأمر يُطاعون طاعةً تابعةً لطاعته، فلا يُطاعون استقلالاً، ولا طاعةً مطلقةً، وأما الرسول فيُطاع طاعةً مطلقةً مستقلةً، فإنه من يُطِع الرسول فقد أطاع الله"(١).

فهذا خبر الله عز وجل، وهو ما خرج به أئمة الحق والهدى – أهل السنة والجماعة – في هذا الباب، فإنهم يعتقدون ويقرون بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وأنه لم يُغفِل أمرًا ولم يترك شيئًا مما يحتاجه الناس لدينهم ودنياهم إلا وبينه لهم بأحسن بيان، وعلى أتم وجه وأكمله.

وهو ما نطق به رسولنا الكريم الأمين عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام رضي الله عنهم في أكثر من موطن، وفي أكثر من حديث وأثر، فمن ذلك:

قوله عليه الصلاة والسلام: "إِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا: كِتَابَ اللَّهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ".

وقوله: "قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ".

وقوله: "وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابُ اللهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي، فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ، وَأَدَّيْتَ، وَنَصَحْتَ. فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا إِلَى النَّاسِ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ".

وفي رواية:

"وَإِنِّي قَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ كِتَابَ اللَّهِ، وَأَنْتُمْ مَسْئُولُونَ عَنِّي مَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟ فَقَالُوا: نَشْهَدُ إِنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالَاتِ رَبِّكَ، وَنَصَحْتَ لِأُمَّتِكَ، وَقَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ، فَقَالَ بِأُصْبُعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ، وَيُنَكِّسُهَا إِلَى النَّاسِ اللَّهُمَّ اشْهَدْ، اللَّهُمَّ اشْهَدْ".

---

(١) مجموع الفتاوى (٢٢ / ٣٢٣).

فهو عليه الصلاة والسلام يذكر في هذا الحديث كمال شريعته وكمال تبليغه، ثم يُشهِّد أصحابَه رضي الله عنهم على ذلك فيشهدون له بما هو حق ثابت له صلوات ربي وسلامه عليه.

ويقول أبو ذر الغفاري رضي الله عنه: "تَرَكْنَا رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم، وَمَا طَائِرٌ يُقَلِّبُ جَنَاحَيْهِ فِي الْهَوَاءِ، إِلَّا وَهُوَ يُذَكِّرُنَا مِنْهُ عِلْمًا، قَالَ: فَقَالَ صلى الله عليه وسلم: "مَا بَقِيَ شَيْءٌ يُقَرِّبُ مِنَ الْجَنَّةِ، ويُبَاعِدُ مِنَ النَّارِ، إِلَّا وَقَدْ بُيِّنَ لَكُمْ"".

ويقول سلمان الفارسي: "قَالَ بَعْضُ الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ بِهِ: إِنِّي لَأَرَى صَاحِبَكُمْ يُعَلِّمُكُمْ حَتَّى الْخِرَاءَةَ! قَالَ سَلْمَانُ: أَجَلْ".

فهذا هو ديننا، دين الإسلام، وهذا هو رسولنا عليه الصلاة والسلام، الذي أرسله الله للناس كافة بشيرًا ونذيرًا، وداعيًا إلى الله بإذنه وسراجًا منيرًا، وهو القائل سبحانه وتعالى فيه: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَـٰكَ شَـٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضۡلٗا كَبِيرٗا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ ٱلۡكَـٰفِرِينَ وَٱلۡمُنَـٰفِقِينَ وَدَعۡ أَذَىٰهُمۡ وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٨].

فهو عليه الصلاة والسلام لم يترك شيئًا كبيرًا كان أو صغيرًا، ولا شاردة ولا واردة إلا وبيَّن الحكم الشرعي فيها، فمن المحال ومن غير المعقول أن يترك – والحال هذه – أمرًا يستقيم به دين الناس ودنياهم، كما هو زعم هذا المفتون الجهول محمد الحسن ولد الددو من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد ترك الأمة بلا دستور يمشون عليه في نظام الحكم، وفي جهل تام بطريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله!!.

وهذا فيه اعتداء وتطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإيذاء لأمته، وللمؤمنين، فمن غرائب هذا الزمان أن يصدر هذا الأمر من مسلم منتسب للإسلام، ومؤمن بالله ورسوله، وفي أمر هو أوضح من الشمس في رائعة النهار.

أمر شهد الله عز وجل فيه لرسوله الكريم عليه الصلاة والسلام، وشهد فيه رسوله الأمين عليه

الصلاة والسلام وأثبته لنفسه، وشهد له فيه أصحابه رضي الله عنهم، ثم يأتي هذا الظلوم الجهول ولد الددو ومن وافقه أو دافع عنه وبرر له بمثل هذا القول الشنيع، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات ولم يكتب لنا دستورًا، ولم يبين لنا طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله، ولم يعين لنا حاكمًا معينًا، حتى تسبب بأزمة ارتد بسببها جمهور المسلمين عن الإسلام!!، فأي ضلال بعد هذا الضلال، نعوذ بالله من الضلال.

والعجيب أن هذا المفتون لما ثارت الغيرة الحقيقية من أهل الخير والصلاح، انتصارًا لرسول الله صلى الله عليه وسلم ودفاعًا عنه، فدفعوا عنه هذا الهجوم وهذا الاتهام الفاجر، وإذا بهذا المتطاول ولد الددو يغره الشيطان ومن تخاذل معه ودافع عنه أو برر له من أصحاب الغيرة المزعومة المكذوبة الذين ذكرتهم وبينت حالهم في بداية هذه الرسالة، فأخذ ينفي الخطأ عن نفسه، ويُصر على باطله، وكأنه لم يتفوه بشيء فيه انتقاص لدين الله عز وجل ولا لرسوله عليه الصلاة والسلام، وذلك قوله:

"فما قلته ليس فيه زلة ولا خطأ واحد، بل كله إجماع ونص، وليس من كلامي أنا بل هو كله إما من كلام الله وإما من كلام الرسول صلى الله عليه وسلم ومن كلام أهل العلم المعتبرين، فأنا كنت أعد مصائب هذه الأمة الكبرى التي غيرت مدارها، وبالاستقراء فهي ست محطات أو ست مصائب كبرى، أكبر مصيبة هي وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، فهذه المصيبة الكبرى التي أصابت الأمة، وأنا ما أدري سبحان الله كيف يُنكر بعض الناس ويتجاسرون على إنكار هذه المصيبة ...".

ومن وقف على عبارة ولد الددو الأولى وجمع بينها وبين هذه العبارة، وتأمل ما جاء في العبارتين، وتبرير ولد الددو هنا في هذه العبارة الأخيرة، بان له الأمر وانكشف، وعلم يقينًا أنه لعَّاب، وكاذب فيما يقول ويبرر، فالمصيبة الكبرى هناك متمثلة في قوله:

"... ولم يكتب لنا دستورًا، ولم يبين لنا طريقة اختيار الحاكم ومحاسبته وعزله، ولم يعين لنا

حاكمًا معينًا".

ونتيجة ذلك:

"فكانت أزمةً ارتد بسببها جمهور المسلمين عن الإسلام".

هذا ما قاله وقرره هناك، فليس الأمر وليست النكبة الكبرى محصورة عنده في موت النبي صلى الله عليه وسلم كما هو زعمه هنا.

وقد سبق في أول الرسالة بيان تعامل الصحابة رضي الله عنهم مع هذه الأزمة.

فما أسهل من أن يتقي هذا المتطاول اللهَ عز وجل ويتوب إليه، ويُصلح ما أفسده، بدلاً من الاستمرار في الباطل وتبريره.

ولكن أقول: صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ يقول: "رَحْمَةُ اللهِ عَلَى مُوسَى، لَقَدْ أُوذِيَ بِأَكْثَرَ مِنْ هَذَا فَصَبَرَ"، ولا أدري ما الفرق بين اتهام ذاك الخارجي بالتقصير وبالظلم، كما في قوله: "إِنَّ هَذِهِ لَقِسْمَةٌ مَا أُرِيدَ بِهَا وَجْهُ اللهِ عز وجل!"، وبين اتهام ولد الددو للنبي عليه الصلاة والسلام بالتقصير وبالإخلال بالرسالة والبلاغ، كما هو ثابت من قوله ومن الرد عليه في هذه الرسالة، مع ما في هذا التقصير والإخلال من الوعيد الشديد، كما في قوله تبارك وتعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: ١٥٩]، وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٤].

فأي إيذاء وأي تطاول على رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم وأقوى من هذا التطاول والإيذاء!!.

ألا فليتق الله عز وجل هذا المتطاول الظلوم الجهول، ومن وافقه أو دافع عنه أو برر له،

وليعرفوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم قدره، وأنه قد بلغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح الأمة، وأنه لم يقصر في شيء من ذلك، وليرجعوا إلى ربهم تبارك وتعالى ويتوبوا إليه، ويتركوا ما هم عليه من الباطل والضلال، ثم ليقرأوا ويتأملوا كتاب: "الصارم المسلول على شاتم الرسول" لشيخ الإسلام ابن تيمية، فليس قولهم وتبريرهم فيما قالوه وقرروه من الباطل والضلال ومن النيل من جناب الرسول صلى الله عليه وسلم بخارج عما هو مقرر فيه!!.

فالله أسأل أن يهدي هؤلاء وأمثالهم، وأن يردهم إلى جادة الحق والصواب.

وبهذا تمت الرسالة، وهو آخر ما قصدت إليه فيها، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

كتبه

علي حسين الفيلكاوي

وتم الانتهاء منه

يوم الخميس ٢٢ جمادى الأولى ١٤٤٧هـ

الموافق ١٣ / ١١ / ٢٠٢٥م

فهرس المحتويات